

علاقة الشاعر بأعلام اليقظة

تأليف سيفغوند فرويد
ترجمة: سمير كرم

يمكن تمثلها - على أنها « لعب » ، والناس الذين يمثلونها يسمون « لاعبين » ومع ذلك فان لأواقعية هذا العالم الشعري التخيل لها نتائجها البالغة الأهمية بالنسبة للتكنيك الأدبي ، لأن كثيرا من الأشياء التي اذا ما حدثت في الحياة الواقعية لم تحدث أي شعور باللذة - لكنها مع ذلك يمكن أن تعطي شعورا بالمتعة في اللعب ، وقد تصيح كثير من الانفعالات - التي هي مؤلمة في جوهرها - مصدرا للمتعة للنظارة والمستمعين لعمل شعري .

وهناك اعتبار آخر فيما يتعلق بالتعارض بين الواقع واللعب ، ذلك التعارض الذي سنتمعن فيه لحظة . بعد أن يكون الطفل قد نما وتوقف عن اللعب بوقت طويل ، وبعد أن يكون قد حاول لعشرات من السنين أن يدرك وفائع الحياة بكل جدية ، قد يصل يوما ما الى حالة ذهنية ينتفي فيها التعارض بين اللعب والواقع ثانية . ويستطيع البالغ أن يذكر بأي درجة شديدة من الجدية كان يقوم بالعباسه الطفلية ، ويستطيع عندئذ - بالمقارنة بين مشاغبه التي قد تكون جدية والعباب طفولة - أن يلقي بعيدا بحمل الحياة الثقيل وأن يحصل على لذة المرح الكبيرة .

ان الناس كلما كبروا اقلعوا عن اللعب ، ويبدون أنهم يقلعون أيضا عن الحصول على اللذة التي كانوا يستمدونها من اللعب . لكن أي انسان يعرف أي شيء عن الحياة العقلية من الكائنات البشرية يعلم أن من أسعيب الامور عليهم أن يقلعوا عن لذة سبق لهم أن ذاقوها . حقا اننا لا نستطيع ان نتنحي عن أي شيء ، انما نحن فقط نستبدل شيئا بشيء آخر غيره . وحين يبدو اننا نقلع عن شيء ، فكل ما نفعله في الحقيقة أننا نتخذ بديلا له . وهكذا فان الكائن البشري حينما يكبر ويقلع عن اللعب يقطع فحسب صلاته بالأشياء الحقيقية (المتصلة باللعب) . فبدلا من ان يلعب يبدأ عندئذ في خلق تخييلات ، فيبني قلاعاً في الهواء ويخلق ما يسمى بأحلام اليقظة . واني أعتقد أن أكبر عدد من الكائنات البشرية يخلق في بعض الاوقات تخييلات ، طالما امتدت الحياة بهم . هذه حقيقة اغفلت زمانا طويلا، ومن ثم لم تقدر أهميتها تقديرا سليما .

ان تخييلات الكائنات البشرية يسر على الملاحظة من لعب الاطفال . فالحق أن الاطفال يلعبون بعدهم ، أو يشكاون مع أطفال آخرين عالما مقفلا في أذهانهم بفرض اللعب ، لكن الطفل لا يخفي لعبه عن الكبار رغم أن لعبه لا يهم هؤلاء في شيء . اما البالغ - من ناحية أخرى - فإنه يكون خجلا من أحلام يقظته ويخفيها عن الناس الآخرين ، أنه يعتز بها باعتبارها أخص ممتلكاته ، وقد يعترف بالأحرى - بصفة عامة - بجميع حاجاته السيئة ولا يعترف بأحلام اليقظة . وقد يعتقد - لهذا السبب - أنه هو الشخص الوحيد الذي يكون مثل هذه التخيلات ، دون أن تكون لديه أية فكرة عن أن الجميع عداه يحكون لانفسهم قصصا من نفس النوع . أحلام اليقظة استمرار للعب ، والدوافع التي تكمن وراء

كنا نعجب دائما، نحن رجال العلم، كيف يصل ذلك المخاوف الغريب « الشاعر » الى موضوعاته . ما الذي يمنحه العذرة على ان يحملنا معه على هذا النحو وأن يثير فينا من الانفعالات ما قد نلظن انفسنا غير قادرين عليه ابدا لان ما أثار اهتمامنا بهذه المشكلة لم يكن الا تلك المناسبة التي تحدث اذا ما سألنا الشعراء انفسهم فلا يعطوننا تفسيراً للمسألة ، أو هم لا يعطوننا - على الأقل - تفسيراً مقنعا . ومعرفتنا بأن أوضح أنواع الاستبصار بالعوامل التي تحكم اختيار المادة التمثيلية ، أو الاستبصار بطبيعة القدرة على صياغة هذه المادة ، لن يجعل منا كتابا - هذه المعرفة ، لن تقلل بأي حال من اهتمامنا .

لكن آه لو استطعنا فحسب أن نجد عندنا ، أو عند أقراننا من الناس بعضا من النشاط مما له صلة - بطريقة ما - بكتابة الاعمال التخيلية ! فلو اننا استطعنا ذلك لأمكن أن يعطينا اختبار هذا النشاط أملا في الحصول على بعض الاستبصار بالقوى الإبداعية عند الكاتب التخيليين . والحق أن هناك بعض الأمل في إنجاز هذا ، فالكاتب انفسهم يحاولون دائما ان يقللوا المسافة بين نوعهم والمخلوقات البشرية العادية ، وهم غالبا ما يؤكدون لنا أن كل انسان شاعر في اعماقه ، وأن آخر الشعراء لن يموت حتى يموت آخر كائن بشري .

ان علينا بالتأكيد ان نحث في الطفل عن الآثار الأولى للنشاط التخيلي . وأحب المشاغل وأكثرها استغراقا للطفل هو اللعب . وقد يحق لنا أن نقول ان كل طفل يسلك في اللعب مثلما يسلك الكاتب التخيلي ، بحسبان انه يخلق عالما خاصا به ، أو أنه - على الأصح - يرتب الأشياء الموجودة في عالمه وينظمها على نحو جديد يزيد من لذته . وقد يكون من غير الصحيح أن نعتقد ان الطفل لا يأخذ هذا العالم مأخذ الجد ، بل انه على النقيض من ذلك يأخذ لعبه مأخذ الجد ويبدل عليه قدرا كبيرا من الانفعال . فليس ضد اللعب الانفعال الحدي ، بل الواقع . ورغم الشحنة الانفعالية الكبيرة المثيرة لعالم اللعب عند الطفل ، فإنه يميزه تميزا تاما عن الواقع ، انما هو يجب فحسب ان يستمد الأشياء والظروف التي يتخيلها من الأشياء المحسوسة المرئية في عالم الواقع . وهذا الربط بينها وبين الواقع هو فقط الذي لا يزال يميز « لعب » الطفل عن « أحلام اليقظة » . والكاتب يفعل نفس ما يفعله الطفل في اللعب ، انه يخلق عالما من الخيال ، يأخذه مأخذ الجد التام ، أي انه يستثمره بدرجة كبيرة من التأثير ، بينما هو يفصله فضلا حاسما عن الواقع . وقد احتفظت اللغة بهذه العلاقة بين لعب الاطفال والابداع الشعري . فهي تحدد خبروبا معينة من الابداع التخيلي - التي تتصل بالأشياء المحسوسة والتي

* كتب فرويد هذا البحث عام ١٩٠٨ - وهو الفصل التاسع من المجلد الرابع من مجموعة كتابات فرويد - طبعة عام ١٩٥٩ . المترجم .

هذين النوعين من النشاط تتضمن سببا معقولا لاختلاف السلوك عند الطفل في اللعب عنه عند البالغ في احلام اليقظة .

يتحدد لعب الاطفال برغباتهم - او بالفعل . يتحدد برغبة الطفل **الوحيية** - في ان يكبر ، تلك الرغبة التي تساعد على ان « يكبر » . انه يلعب دائما دوره كبالغ ، فهو في اللعب يقلد ما يعرفه عن حياة البالغين . واذن فلم يعد لديه سبب لاختفاء هذه الرغبة . اما بالنسبة للبالغ فالامر على العكس ، فهو يعرف - من ناحية - ان المتوقع منه الا يعود للعب او لاحلام اليقظة ، وانما المتوقع منه ان يتخذ طريقه في العالم الواقعي . ومن ناحية اخرى تكون بعض الرغبات التي تنبثق منها تخييلاته مما ينبغي اخفاؤه تماما ، ومن ثم فانه يكون خجلا من تخييلاته بحسبان كونها تخييلات طفولية وكونها شيئا ممنوعا .

فاذا اخفيت هذه الرغبات بدرجة كبيرة من السرية فسوف تسأل : كيف نعرف كل هذا عن الميل البشري الى خلق التخيلات ؟ هناك فئة معينة من الكائنات البشرية حملتهم ضرورة عليا - ليست هي الها حقا ، ولكنها ربة كئيبة - مهمة اعطاء بيان عما يعانون من عذاب او يدوقون من متعة . هؤلاء الناس هم العصاييون ، ومن بين الامور الاخرى ان عليهم الاعتراف بتخييلاتهم للطباء الذين يذهبون اليهم على امل الشفاء عن طريق العلاج العقلي . هذا هو افضل مصادر معرفتنا ، وقد وجدنا اخيرا سببا معقولا لافتراض ان مرضانا لا يبنوننا عن انفسهم شيئا لا نستطيع ايضا ان نسمعه من الاصحاء من الناس .

دعنا نحاول ان نتعلم بعض خصائص احلام اليقظة . ويمكننا ان نبدأ بالقول بان السعداء من الناس لا يتكونون خيالات ، خيالات غير مشبعة فحسب . فالخيالات غير المشبعة هي القوى الدافعة وراء التخيلات ، وكل تخييل منفصل يتضمن تحقيق رغبة ، ويحسن واقعا غير مشبع . وتختلف الرغبات الدافعة تبعا لجنس المبدع وشخصيته وظروفه . ومع ذلك قد يكون من السهل تقسيم هذه الرغبات الى مجموعتين اساسيتين . فاما ان تكون رغبات طموحة تفيد في تمجيد الشخص الذي يخلقها ، او ان تكون رغبات شبقية ، وتسود الرغبات الشبقية عند صغار النساء تخييلاتهن سيادة تامة ، لان طموحهن يكون مقتصرا - عموما - على استيقاقهن الشبقية . اما عند صغار الرجال فان الرغبات الذاتية والرغبات الطموحة تؤكد ذاتها بوضوح كاف ، جنبا الى جنب مع رغباتهم الشبقية . لكننا لن نركز على التفرقة بين هذين الاتجاهين ، فنحن نفضل ان نؤكد

الحقيقة القائلة بانهما يكونان متحدين غالبا . ففي كثير من لوحات الهياكل الكنسية توجد صورة مانح الهبة في ركن من اركان اللوحة ، وفي اكب عدد من احلام اليقظة الطموحة ايضا نستطيع ان نكتشف امرأة في ركن ما ، امرأة من اجلها ينجز الحالم جميع افعاله البطولية ، ويضع تحت قدميه جميع انتصاراته . وهنا ترى ان لدينا دوافع قوية كافيها لعمليه الاخفاء . فالمرأة الكاملة النضج لا تكون - حقا - مدينة الا بحد ادنى من الرغبة الشبقية ، بينما على السب ان يتعلم كبح اعتباره لذاته الذي يكتسبه من الجو الرديق المحيط بطفولته ، حتى يمكنه ان يجد مكانه الصحيح في مجتمع مليء بأشخاص اخرين لهم مطالب مماثلة .

وينبغي الا نتخيل ان النتائج المتباينة لهذا الحافز الى التخييل ، او بناء قلاع في الهواء ، او الى احلام اليقظة هي نتائج منسوخة او لا تعبل التغيير . بل هي على النقيض توائم ذاتها مع تأثيرات الحياة المتغيرة ، وتتغير مع تقلبات الحيات ، ويعطيها كل تأثير عميق جديد ما يمكن ان نسميه « خاتما مؤرخا » . وعلاقة التخيلات بالزمن علاقه ذات اهمية كبيرة . ويمكن المرء ان يقول ان التخييل في لحظة ما ، وفي نفس تلك اللحظة ، يتردد بين فترات زمنية ثلاث - هي الفترات الثلاث لتكوين الافكار . ويرتبط نشاط التخييل في الذهن ببعض الانطباعات الجارية ، التي تنشأ عن حدث ما في الحاضر له القدرة على اثاره رغبة عارمة . ومن هناك تتردد الى ذكرى خبرة مبكرة - تتصل غالبا بالطفولة - كانت قد تحمعت فيها هذه الرغبة . ثم تخلق لنفسها موقفا من المفروض ان يظهر في المستقبل ، متمثلا بتحقيق الرغبة - وهذا هو حام اليقظة او التخييل ، الذي يحمل عندئذ في آثاره كلا من المناسبة التي احدثته وبعض ذكريات الماضي . وهكذا يتصل الماضي والحاضر والمستقبل على خيط الرغبة التي تسرى فيهم جميعا .

ويمكن ان يفيد في مثال عادي جدا في ايضاح قضيتي . فاناخذ حالة صبي يتيم صغير ، اعطيته عنوان صاحب عمل قد يحصل عنده على وظيفة . في طريقه الى هناك يملكه حام يقظة مناسب للموقف الذي ينبثق عنه . سيكون محتوى الحلم قريبا من الاتي : يعين ويرضى صاحب العمل الجديد ، ويدخل في اسرة صاحب العمل ، ويتزوج الابنة الجميلة للأسرة . ثم يصل الى رئاسة العمل اولا كشریک ، ثم كخلف لحميته . وبهذه الطريقة يستعيد الحالم ما كان يتمتع به في طفولته السعيدة : البيت الذي يحميته ، والديه الحبيبين وأول موضوعات حبه . ستري من هذا المثال كيف تستغل الرغبة حدثا ما وقع في الماضي وترسم مستقبلا على نمط هذا الماضي .

أكثر من هذا يمكن ان يقال عن التخيلات ، لكنني سألمح فحسب ، بأشد ايجاز ممكن الى نقاط معينة . ان التخيلات اذا ما اصبحت مفرطة الكثرة ومفرطة القوة تكونت الشروط الضرورية لظهور العصاب او الذهان ، * والتخيلات هي أيضا المرحلة الاولى المبدئية في الذهن لاعراض المرض الذي يشكو منه مرضانا . ويتفرع هنا طريق جانبي عريض في علم الامراض . ولست أستطيع ان اؤمر عابرا على علاقة التخيلات

* **الذهان هو المرض العقلي Psychosis** في تقابل العصاب Neuris أي المرض النفسي ، ويتميز الذهان عن العصاب بعدم القدرة على التوافق وحفظ الاتزان النفسي . وقد ينشأ الذهان عن اسباب عضوية بحث . وقد تؤدي اليه اسباب وظيفية عقلية . « المترجم » .

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر
مع منشورات دار الاداب
اول طريق الشام

صاحبها : حسن شعيب

بالاحلام . فليست احلامنا الليلية الا تخيلات مماثلة ، وهذا ما نستطيع ايضا تفسير الاحلام الليلية (١) . ولقد قررت اللغة منذ زمن بعيد - بحكمتها التي لا ينافسها منافس - مسألة الطبيعة الجوهرية للاحلام وذلك باطلاقها اسم « احلام اليقظة » على تلك الاختلاقات الهوائية للتخييل . فاذا ظل معنى احلامنا عادة غامضا رغم هذه الرابطة فهذا يرجع الى ان الرغبات التي تكون خجلين منها تصبح في الليل نشطة داخلنا ، وهي تلك الرغبات التي لا بد لنا ان نخفيها عن انفسنا ، والتي كبتت بناء على ذلك ، ودفعت الى اللاشعور . هذه الرغبات المكبوتة ومشتقاتها لا يمكن من ثم ان تجد لها تعبيراً الا حينما تستر تسترا تاما . والمجهود العلمي - حينما نجح في ان يشرح ما في الاحلام من تحريف - لم يجعل من العسير علينا ان ندرك ان الاحلام الليلية تحقيق لرغبات ، شأنها شأن احلام اليقظة - اي تلك التخيلات التي نحن مهتادون عليها جميعا .

فلنا كلاما كثيرا عن احلام اليقظة ، فلنتكلم الان عن الشاعر : اترانا سنجرؤ على ان نقارن الكاتب الخيالي بمن « يحلم في عز النهار » ، وان نقارن أعماله الابداعية باحلام اليقظة ؟ هنا تفرض علينا تفرقة اولى ، فعلينا ان نميز بين الشعراء الذين يأخذون موضوعاتهم جاهزة ، مثل مبدعي الملاحم والتراجيديات الاقدمين ، واولئك الذين يبذلون انهم يبدعون موضوعاتهم تلقائيا . ولنقتصر كلامنا على الآخرين ، ودعنا ايضا لاختار لعمليّة المقارنة التي سنقوم بها اولئك الكتاب الذين يهتمون بتقدير عظيم - من النقاد - سنختار اقل كتاب الروايات والقصص تظاهرا ، والذين يقرأ لهم الرجال والنساء على اوسع نطاق . وهناك خاصية مميزة ملحوظة في نتاج هؤلاء الكتاب لا بد انها تخطر لنا جميعا : ان كلامهم له بطل هو مركز اهتمامه ، يحاول المؤلف ان يكسب له عواطفنا بكل الوسائل الممكنة ويضعه تحت عناية خاصة . فاذا ترك البطل في خاتمة احد الفصول فاقد الوعي ينزف الدم من جرح فاس ، فانا على يقين انني سأجده في بداية الفصل التالي يلقي عناية فائقة وفي طريقه الى الشفاء . فاذا كان المجلد الاول ينتهي والبطل غارقة سفينته في عاصفة في البحر ، فانا واثق انني ساسمع في بداية المجلد التالي عن نجاحه العجيبة - ماذا والا لا يمكن ان تستمر القصة . ان الاحساس الاول الذي اتبع به البطل خلال مغامراته الخطرة هو نفسه الاحساس الذي به يلقي بطل حقيقي بنفسه في الماء لينقذ انسانا يعرف ، او يعرض نفسه لنيران العدو اثناء قصف عاصف من المدفعية . هذا هو نفس الاحساس بالبطولة التي عبر عنه واحد من افضل الكتاب الالمان تعبيراً رائعاً في عبارته الشهيرة « لا شيء يمكن ان يحدث لي » (٢) . ومع ذلك يبدو لي ان هذه العلامة الهامة على عدم القابلية للنفاد تفضح - بوضوح شديد - صاحب الجلالة الأنا ، بطل جميع احلام اليقظة وجميع الروايات .

ونحن نلمح نفس العلامة في سمات مميزة اخرى لهذه القصص التي تتمركز حول الانا . فحينما تقع كل النساء - بصورة ثابتة - في حب البطل ، يكون من العسير علينا اعتبار هذا وصفا للواقع ، بل يكون فهمه على انه قوام

(١) انظر فرويد : « تفسير الاحلام » .

(٢) العبارة للكاتب الالمانى آنز نجروبر - لسودفيج آنز نجروبر (١٨٢٩ - ١٨٨٩) روائي ومسرحي عاش في مدينة فيينا . « الترجمة » .

جوهري لاحد احلام اليقظة . وبصدق نفس الشيء حينما يقسم الأشخاص الآخرون في القصة بين اختيار واشرار . مع اغفال تام للتنوع المزدوج في سمات الكائنات البشرية الحقيقية ، فالاختيار هم اولئك الذين يساعدون الانا في شخصية البطل ، بينما الاشرار هم اعداؤه ومنافسوه .

اننا لا نفشل باي حال في ادراك ان الكثير من الانتساح التخيلي قد تجاوز بعيدا عن احلام اليقظة الاصلية الساذجة ، لكن لا نستطيع ان اكبح ما لدي من تخمين بانه حتى اكثر الاختلافات حدة يمكن ان تدخل في علاقة مع هذا النموذج بواسطة سلسلة متصلة من التحولات . لقد راغني في كثير مما يسمى بالروايات السيكولوجية ان شخصا واحدا فحسب - هو البطل هذه المرة ايضا - يوصف من الداخل ، فالمؤلف يتمرن في نفسيته وينظر الى الآخرين من الخارج . وربما تدبر الرواية السيكولوجية عموما بخصائصها الى اتجاه الكتاب المحدثين لان يشمخروا بالانا عندهم عن طريق الملاحظة الذاتية لانواع كثيرة من الاناء ولان يشخصوا الاتجاهات الصراعية في حياتهم العقائدية الخاصة في كثير من الابطال . وهناك روايات يبدو انها تقف موقف التعارض مع احلام اليقظة الفعالية . في هذه الروايات يلعب الشخص الذي يقدم على انه البطل اقل الادوار ايجابية بالنسبة لاي شخص . بل يبدو انه يشترك افعال الناس الآخرين ومخبرهم تمر به كانه متفرج . وكثير من روايات زولا الاخيرة ينتمي الى هذه الفئة من الروايات . لكن لا بد لي ان اقول ان التحليل النفسي للناس الذين ليسوا كتابا ، والذين ينحرفون في اشياء كثيرة عما يسمى بالقاعدة العامة ، قد بين لنا اختلافات مماثلة في احلام يقظتهم التي يستمد الانا منها السرور بقيامه بدور المتفرج . فاذا كان لمقارنتنا الكاتب الخيالي بمن تراوده احلام اليقظة ، والنتاج الشعري باحلام اليقظة . ان تكون ذات قيمة ما ، فينبغي ان تبدو مثمرة بطريقة او باخرى . فلنحاول مثلا - ان نفحص اعمال الكتاب بالرجوع الى الفكرة التي عرضناها فيما سبق ، اي علاقة التخيل بالرغبة التي تتخلله وبفترات الزمان الثلاث . ولندرس - بمساعدة هذا الفحص - الصلة بين حياة الكاتب واعماله . لم يكن من المعروف في الماضي ما هي الافكار التي تشكل عناصر تناول هذه المشكلة ، كانت هذه العلاقة تعتبر - في الاغلب - ابسط كثيرا مما هي بالفعل ، لكن الاستبصار الذي نحصله من التخيلات يؤدي بنا الى توقع ان تكون الامور على الحال الاتي . ان تجربة فعلية تركت في الكتاب انطباعا قويا قد ايقظت ذكرى تجربة اسبق منها ، ترجع الى الطفولة بوجه عام ، وتثير هذه عندئذ رغبة تجد تحقيقاً لها في العمل موضع البحث ، والذي لا بد ان تكون عناصر الحدث الجديد والذكرى القديمة محسوسة فيه .

لا تحنق اراء التعقيد الموجود في هذه القاعدة ، فانا نفسي اتوقع انها ستثبت - في الواقع - بنفسها انها قاعدة مخططة ، ولكنها قد تتضمن اول وسيلة لتناول واقع الامر الحقيقي . وانا اعتقد - من بعض المحاولات التي قمت بها - ان هذه الطريقة في تناول اعمال الخيال قد لا تكون عديمة الجدوى . وسوف لا نسمى ان التركيز على ذكريات الكاتب عند طفولته - التي قد تبدو غريبة للغاية - ناشيء كلية عن افتراض ان الابداع الخيالي - شأنه شأن احلام اليقظة - استمرار وبديل للعب الطفولة .

ولن نهمل الاشارة ايضا الى تلك الفترة من الاعمال الخيالية التي لا ينبغي ادراكها كنتاج تلقائي ، بل كمسادة

الحرف المقفى

يا مرفاً في المطر
أفتح لنا، أبوابك المغلقه
أفتح لنا في المطر
درباً الى جزر بلا عنوان
اسوارها نسيان
جزر لها اشجان
يرسو لديها القمر
ما مر فيها البشر

عاد السنونو متعباً .. متعباً
طوف في ارض بلا حدود
الناس فيها ياكلون الورود
ويشربون المطر
ويرتدون الشجر

وانت يا قلبي
ما زرت يوماً كوكبا مهجور
ولم تذق طعم الندى والزهور
وما رايت الارض كالنجمه
تدور في القمه
وما رايت القمر المكسور
ملقى، على شواطئ الظلمه

يا سفناً مثقلةً بالعاج
يا سفناً ترحل
مري على مرفاً
قنديله مطفاً
هناك قلبي مهمل .. مهمل
ملقى على الرمل، وريش السمور
وذابلات الزهور
يحلم في ارض بلا حدود
دفع الشموس الخضر، من دفتها
الحزن فيها، والهوى الاول
وشهقة العطر، وهمس الورود
يا سفناً ترحل
هناك قلبي مهمل .. مهمل
ينتظر المد الذي لا يعود

حسب الشيخ جعفر

موسكو

جاهزة اعيدت صياغتها . فهنا - ايضاً - يحتفظ الكاتب بقدر معين من الاستقلال ، فهو يستطيع ان يعبر عن نفسه في اختيار المادة ، وفي التغييرات التي تطرأ على المادة المختارة ، وهي غالباً ما تكون تغييرات لها اعتبارها - وهذه المادة غالباً ما تكون - مهما بعد المدى الذي تبلغه - مشتقة من بيت كنوز الخرافات والاساطير والحكايات الخرافية القديمة . ودراسة مبدعات سيكولوجيا الاجناس هذه ليست كاملة باي حال ، لكن يبدو من المحتمل الى اقصى حد ان الاساطير ، مثلاً ، بقايا محرفة لتخيلات رغبات امم باسرها - هما احلام صبا الانسانية المديدة العمر .

ستقول اني - رغم ان الكتاب جاءوا اولاً في عنوان هذا المقال - اخبرتك عنهم اقل مما اخبرتك عن التخيل . وانا اعرف ذلك ، وسأحاول ان اتخيل لنفسى عذراً بالإشارة الى الحالة الراهنة لمعرفتنا ، ولا نستطيع الا ان القي بعيداً بالاقتراحات ، وان اثر نقاطاً معينة تنشأ عن دراسة التخيلات ، وتمضي وراء هذه التخيلات الى مشكلة اختيار المادة الادبية . ونحن لم نلمس المشكلة الاخرى على الاطلاق ، واعني مشكلة ما هي الوسائل التي يستخدمها الكتاب ليحدثوا فينا ردود الافعال الانفعالية هذه ، التي تثيرها اعمالهم ، لكن قد ابين لك على الاقل الطريق الذي يؤدي من مناقشة احلام اليقظة الى مشكلات الاثر الذي تحدثه فينا الاعمال الخيالية .

لعلك تذكر اننا قلنا ان الشخص الذي تراوده احلام اليقظة يخفي تخيلاته تماماً عن الناس الاخرين لان لديه سبباً يجعله خجلاً منها . ويمكنني ان اضيف الان انه حتى لو كان لا بد له ان يوصلها اليها ، فانه لن يعطينا اي شعور باللذة بما سيكشفه لنا . فحينما نسمع مثل هذه التخيلات تتفرنا ، او هي على الاقل تتركنا في جمود . لكن حين يقدم انسان ذو موهبة ادبية مسرحياته ، او حينما يربط ما نعتبره احلام يقظة الخاصة ، فاننا نتمتع بلذة كبيرة ربما تكون نابعة من مصادر كثيرة . اما كيف ينجز الكاتب هذا ، فذلك هو سره الداخلي ، ويكمن فن الشعر الجوهري في الوسيلة التي بها يقهر احساسنا بالاشمئزاز ، ولا بد ان يتم هذا بالتأكيد بالنسبة للحواجز التي تقوم بين كل كائن فردي وجميع الكائنات الاخرى . ويمكننا ان نحرس منهجين يستخدم كل منهما في هذه الوسيلة . ان الكاتب يخفف من الطابع الاناني للحلم بما يحدثه فيه من تغيير واخفاء ، وهو يرشوناً بما يقدمه لنا من لذة شكلية بحتة ، اعني جمالية ، في تمثل تخيلاته ، واللذة الزائدة التي تقدم لنا حتى نحقق كذلك لذة اكبر نافعة ، من مصادر اعماق في الذهن ، تسمى « مكافأة حافزة » ، او بتعبير فني « لذة سابقة » . وانا مع الراي القائل بان كل انواع اللذة الجمالية التي نحصلها من اعمال الكتاب الخياليين هي من نفس نوع هذه اللذة السابقة ، وبيان المتعة الحقيقية من الادب تنشأ عن حل التوترات التي تعانها اذهاننا ، وربما تكون من العوامل الكثيرة التي تؤدي الى هذه النتيجة حيث يضعنا الكاتب في وضع نستطيع فيه ان نتمتع باحلام يقظتنا دونما لوم او خجل . وهنا نصل الى طريق يؤدي الى الرواية ، والى الابحاث الهامة المعقدة ، ولكننا - ايضاً - نصل على الاقل في الوقت الحاضر ، الى نهاية هذه المناقشة .

ترجمة سمير كرم

القاهرة